

المعرض الزراعى الصناعى الخامس عشر

من ١٥ فبراير سنة ١٩٣٦ إلى ١٥ أبريل سنة ١٩٣٦

أصدرت الجمعية الزراعية الملكية هذا الكتاب عن المعرض المذكور ، وقد تفضل حضرة صاحب السعادة فؤاد أباطه باشا مديره العام ، وأهدانا نسخة منه وقد افتتحه سعاده بالمقدمة الآتية : —

كان من فضل الله أن صادف المعرض الزراعى الصناعى العام الذى أقامته الجمعية الزراعية الملكية فى النصف الأول من سنة ١٩٣٦ نجاحاً منقطع النظير وقد جاء برهاناً واضحاً على الشأو الذى بلغته الجمعية والتوفيق الذى حالفها فى أعمالها ، كما جاء صورة محسوسة للخطوات الواسعة التى خطتها البلاد فى ميادين الزراعة والصناعة وغيرها خلال السنوات الأخيرة .

ولا ريب فى أن الجمعية قد أدت بإقامة المعرض خدمة عظيمة للبلاد . وأشاعت فيها روح الجد والمثابرة والإتقان . وإذا كانت مصر قد عرفت منذ قديم الأزمان بأنها بلاد زراعية . وبلغت فى هذا السبيل بفضل ما أدخلته من أساليب الزراعة الحديثة مبلغاً عظيماً جعلها فى النصف الأول بين البلاد الزراعية فإن المعرض قد أتاح الفرصة أيضاً لتبين الجميع أن النهضة الصناعية تسير مع الزراعة فى طريق النماء والازدهار . ونفت بذلك من الأذهان ما استقر فيها من زمن قديم وهو أن مصر لا يمكن أن تصبح بلداً صناعياً .

أجل . كانوا يلقوننا فى المدارس والمعاهد أن الطبيعة قضت على مصر أن تظل أبداً الدهر بلداً زراعية فحسب ، وأن كل جهد يبذل فى سبيل جعلها بلداً صناعياً للصناعة هو جهد ضائع . وقد رسخت هذه الفكرة فى عقيدتى منذ كنت طالباً متأثراً بما كان يلقيه لى أساتذتى من الأوربيين الذين تلقيت العلم على أيديهم وسرت هذه التعاليم منهم إلى زملائهم الوطنيين ، وأخذ الجميع يكررون هذا القول على منسامنا حتى ساد الاعتقاد أن مصر لا تصلح أن تكون بلداً صناعية .

ولكننى حين أشرفت على إقامة معرض سنة ١٩٣٦ . ولمست عن قرب مدى

ما وفقت إليه مصر في ميادين الصناعة أدركت مقدار ما في هذا القول من خطأ وأيقنت أن مستقبل البلاد في الصناعة — بجانب الزراعة — مكفول موموق .

وحين أخذت الجمعية بعد العدة لمعرض سنة ١٩٣١ لاحت لى بوادر جديدة على أن النهضة الصناعية تسير في طريقها ، وأنها توشك أن توفى على غايتها .

وفي ١٩ ديسمبر سنة ١٩٣٠ أقيمت محاضرة عن معرض سنة ١٩٣١ قلت فيها « أن معرض سنة ١٩٢٦ كان حادثاً موقفاً جعل الجمهور المصرى يشعر أن في بلده صناعة وصناعاً حاذقين . وبدأت الطبقة المتفرجة التي كانت لا ترى في صناعات بلدها إلا أصنافاً منحطة لولعها بكل ما هو أجنبي تفريق من غفلتها وتفتح عيونها — وقد أخذتها الدهشة — عندما قدم العامل المصرى البرهان الساطع على فساد هذه النظرية التي غرسها في أذهانهم هؤلاء المغرضون الذين لا يهتمهم إلا الترويج للمنتجات الأجنبية والقضاء على المصنوعات المصرية » .

وقيل افتتاح معرض سنة ١٩٣٦ أقيمت في جمعية الشبان المسلمين يوم السبت ٢١ ديسمبر سنة ١٩٣٥ محاضرة قلت فيها « إن معرض سنة ١٩٣١ كان سجلاً لمقياس التقدم المطرد في شؤون الصناعة والزراعة . وإن مصر قد قطعت خطوات سريعة في هذا المضمار مما ساعد على توازن كفتى ميزانها التجارى عندما بداء في الأفق شبح منافسة الأقطان الأجنبية لأقطاننا المصرية وأصبح القطن غير صالح وحده ليكون المرجع والعباد الوحيد للثروة المصرية » .

وجاء معرض سنة ١٩٣٦ مصداقاً لهذا الذى توقعته . وبدد الوهم السابق . بل كان بمثابة النهار الساطع الذى طلع على ليل قاتم . وآمن الجميع أن مصر يمكن أن تصبح بلاداً صناعية عظيمة كما هى بلاد زراعية عظيمة . وأن ليس أمامها سوى تصل إلى ما تصبو إليه ، إلا أن تصح النبات ، وتتضافر القوى . فقد وهبها الله تربة خصبة وأرضاً ممهدة مبسطة ورقعة ممدودة وموانى صالحة ، وموقعاً جغرافياً ، جعلها صلة بين الشرق والغرب ، يضاف إلى هذا كله مهارة تقليدية ورثها العامل المصرى منذ فجر التاريخ ، حين كانت مصر معلمة العالم في دقة الصناعة وجمال الفن .

ولو لم يكن لمعرض سنة ١٩٣٦ إلا الفضل في إبراز هذه الحقيقة الكبرى لكفاه نجاحاً ولكن الهيئة التي أعدت له جراء ما تكلفت على سبيله .

وقد امتاز معرض سنة ١٩٣٦ بأن خصص فيه قسم للسودان فجاء المعرض معبراً عن الأمانى القومية تعبيره عن النهضة الزراعية والصناعية . وأتاح الفرصة لسكان وادى النيل لكي يجتمعوا في صعيد واحد على شاطئه السعيد .

وليس هذا فحسب ، بل لقد أتاح معرض سنة ١٩٣٦ لجيراننا من أهل العراق وسوريا ولبنان وفلسطين وشرق الأردن والحجاز واليمن وشمال أفريقيا الفرصة لزيارة مصر والتعرف إلى نهضتها ، فأدى بذلك خدمات جليلة عظيمة الأثر بالنسبة إلى مركز مصر ومستقبلها .

وإذا كانت معارض سنوات ١٩٢٦ و ١٩٣١ و ١٩٣٦ قد جاءت مقياس الأظهار العملى للتقدم الزراعى والصناعى فى البلاد ، فإن ما سبقها من معارض فى مصر والأقاليم والى أقامها رجال الجمعية الزراعية كانت بمثابة الطلائع للنهضة الزراعية والصناعية التى تلت . فكان لهم بالجهد الذى بذلوا والكفاية التى أعدوا بها هذه المعارض فضل السابقين الذين مهدوا الطريق وذللو الصعاب .

وترجو الجمعية بهذا الكتاب الذى تضعه عن معرض سنة ١٩٣٦ تنفيذاً لرغبة حضرة صاحب السمو الأمير الجليل عمر طوسون رئيس الجمعية أن تسجل فيه مظاهر نهضة شاملة كان للمعرض ترجماً صادقاً لها ولوحة ارتسمت على صفحاتها جهود أمة فنية ناهضة توافقة إلى التقدم عاملة على إحياء مجدها .

وإذا كان هذا الكتاب يصدر بعد مضى خمس سنوات منذ أقيم المعرض فى سنة ١٩٣٦ ، فإن القصد الذى توخناه ، هو أن يكون الكتاب فى يد القارئ بالاعداد للمعرض القادم ، وفى يد المعنيين بنهضة المعارض بصفة عامة .

وقد حرصت الجمعية منذ وضعت الحرب الماضية أوزارها ، واستقرت أحوال العالم فى سنة ١٩١٩ على أن تقيم معرضاً عاماً كل خمس سنوات ، فأقامت أول هذه المعارض فى سنة ١٩٢٦ . وأقامت الثانى فى سنة ١٩٣١ ، والثالث فى سنة ١٩٣٦ .

وكانت الإجراءات قد اتخذت فى النصف الأخير من سنة ١٩٣٩ استعداداً لإقامة المعرض القادم فى سنة ١٩٤١ . غير أن نشوب الحرب الحالية وما يبدو من أنها ستكون طويلة الأجل سيحول دون تنفيذ هذه الرغبة ، نرجو الله أن يقر السلام فى ربوع العالم ، فيطلع عليه بعد هذه الحرب الطاحنة فجر من الرخاء

والهدوء تزدهر فيه نهضة بلادنا الفتية في ظل جلالة ملكنا المعظم فاروق الأول حفظه الله .

وقد اختتم سعادة فؤاد أباطه باشا هذا الكتاب ببندة عن آثار المعرض المذكور في مختلف النواحي بالبلاد ثبتها فيما يلي : —

الآن وقد فرغنا من الكلام على معرض سنة ١٩٣٦ وأتينا على وصف ما سبقه من استعداد وما عرض فيه ، يحسن أن نخصص هذا الفصل الأخير للبحث في آثاره وتحديد ما يقدر الإمكان . وقد جاء هذا المعرض خاتمة مرحلة من مراحل النهوض الاقتصادي في مصر أو تعبير أدق ، كان مناسبة تميزت فيها إحدى مراحل هذا النهوض الاقتصادي . وقد أقيم في وقت انتشرت فيه الدعوة للاستقلال الاقتصادي ، وفتحت الأذهان لقيمة هذا الاستقلال ، وإلى أنه مرادف للاستقلال السياسي ، بل إنه دعامة من دعائم هذا الاستقلال .

فما هي النتائج التي أسفرت عنها معرض سنة ١٩٣٦ ؟

أى أثر كان له في حياة البلاد الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بل والسياسية أيضاً ؟ لقد قدمت أن المعرض أقيم في ظروف مؤاتية من نواح كثيرة . أقيم والبلاد متهمة الأذهان ، متفتحة الآذان لكل دعوة نحو التدعيم الاقتصادي لقوميتها ، أعنى التدعيم لزراعتها وصناعاتها وتجارتها وكان هذا طوراً طبيعياً وضرورياً في حياة النهضة المصرية . هذه النهضة التي بدت في أول أمرها سياسية ، ولكنها في الواقع كانت نهضة شاملة ، مست الاجتماع والاقتصاد والآداب والفنون والعلوم ومستوى التفكير ، كما مست السياسة والطموح السياسي . فلا غرو إذا نظرنا إلى معرض سنة ١٩٣٦ من هذه الزاوية فبدا لنا وكأنه صنع هذه النهضة وريب فضلها ، ولا عجب إذا كنا ننظر إلى نتائجه بعمق ، فنقرر أنها مست الاجتماع والثقافة بل والسياسة ، كما مست الاقتصاد .

وقد أشرفت على الاستعداد لإقامة المعرض ، وتابعت الإشراف عليه في مسدة إقامته ، فلمست هذه الآثار واضحة جلية . لمست أن المعرض في شتى مراحلها مثل ، وبصورة صادقة كثيراً ، من مميزات مصر الجديدة في نهوضها الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والثقافي .

وضح النهوض الاقتصادى فى هذا المجال الشديد الذى كنت أشعر به وألمسه فى كل زارع وكل صانع وكل تاجر اشترك فى المعرض . بل وضح فى كل من عاون على إقامة هذا المعرض ، سواء من موظفى الحكومة ومندوبيها أو من موظفى الجمعية أو من الهيئات الأهلية أو من أفراد الجمهور ، كانوا كلهم يعملون بروح المشاركة فى عمل قوى ، يرجى أن يعم نفعه مصر كلها وليس تجارها وزراعتها وصناعاتها الذين اشتركوا فيه وحدهم .

ووضح النهوض السياسى فى الحرص الشديد الذى بدأ من الجميع على صبح المعرض بالصيغة الوطنية الخالصة ، ولم يكن هذا عن تعصب ولا كره للتعاون مع الأجانب ، ولكن كان حرصاً على أن يكون المعرض تمثيلاً للجهد الوطنى وتشجيعاً له .

ووضح أيضاً فى المحل الكريم الذى نزل فيه إخواننا السودانيون ضيوفاً على شقيقتهم مصر . وفى العناية التى قوبلت بها معروضاتهم سواء من صاحب السمو الأمير الجليل عمر طوسون رئيس الجمعية أو من إدارة المعرض أو من جمهور الزائرين .

ووضح النهوض الاجتماعى فى الذوق الذى ساد المعرض وساد تنسيقه وترتيب معروضاته وفى السلاوك الحسن الذى سلكه الزوار ، وفى الاحترام الشامل الذى حظيت به المرأة . وأخيراً فى هذا النظام الذى التزمه الجميع وكان مثار الإعجاب ، وخاصة إذا لاحظنا أن عشرات الألوف من الزوار كانوا يجتمعون كل يوم فى ساحة المعرض .

ووضح النهوض الثقافى فى الطريقة التى كانت جماهير الزوار يتفقدون بها المعروضات ، فلم يكن همهم أن يتفرجوا للتسلية فحسب ، ولكنهم جمعوا إلى التسلية الرغبة فى الانتفاع وزيادة المعلومات وتوسيعها .

بعد هذا العرض العام ، ننتقل إلى الكلام عن آثار المعرض والنتائج التى أسفر عنها .

منه الناهية الاقتصادية فى الزراعة والصناعة والتجارة :

١ — جمع المعرض فى ساحة واحدة متقاربة الجنبات مئات العارضين من الزراعة والصناعة والتجارة . والإنسان مطبوع على حب الترقى والتقليد لما هو حسن ، الفلاحة — م — ٦

فأثبخت الفرصة لكل منهم لكي يقارن بين ما عنده وما عند غيره ، وما وصل إليه وما وصل إليه غيره . ولا شك أن الزراعة والصناعة والتجارة وكل مظهر من مظاهر النشاط الاقتصادي تتأثر بالبيئة تأثراً واضحاً ، ومصر على الرغم من أن تعداد سكانها يبلغ نحو السبعة عشر مليوناً ، إلا أن رقعة أرضها ممتدة امتداداً كبيراً ، ومناخها وإن تقارب إلا أنه مع ذلك يختلف إلى حد يسمح باختلاف الأساليب في الزراعة والصناعة والتجارة من إقليم إلى إقليم . وقد ينفق الزارع من أهل الصعيد عمره دون أن تتاح له فرصة للاتصال عن قرب بالزراع من أهل الوجه البحري والتعرف على أساليبهم وتقاليدهم في الزراعة . وما قيل عن الزارع يقال عن الصانع وعن التاجر . فقد أتبع لكل منهما أن يتصل عن قرب بإخوانه وأقرانه من مختلف أنحاء مصر ، وأن يرى نتائج تفكيرهم وسعيهم معروضاً على مقربة منه .

ولقد كان هذا التجمع العظيم الفائدة من غير ريب لأنه ساعد على تحسين الوسائل العتيقة والأخذ بالوسائل الجديدة ، وساعد على التقريب بين مختلف نواحي الإنتاج ، في البلاد وتنسيقها تنسيقاً لا شك أنه يعود بنتائج كثيرة طيبة على الأفراد أولاً ، ثم على المجموع أخيراً .

وهكذا أفاد المعرض في أنه بعث المنافسة الشديدة بين الطوائف المنتجة في البلاد وأتاح لها الفرصة لتبادل الأساليب والأخذ بأفضلها نتيجة ، وأكثرها فائدة .

٢ — كان كثيرون من المصريين وعلى الأخص من أفراد الطبقات الغنية الذين يعيشون في المدن يجهاون الكثير عن تقدم الصناعة في بلادهم . وكانوا يعتمدون في شراء حاجياتهم على التجار الأجانب والصانع الأجانب ، إما تظاهراً منهم بالثروة والتدين الأوربي ، أو بغية في أن يقال عنهم أنهم من طبقة عالية ، وإما اعتقاداً منهم أن المصنوعات المصرية لم تبلغ درجة الإتقان المطلوبة . شاهد هؤلاء بأعينهم أن المعرض الزراعي الصناعي لسنة ١٩٣٦ نماذج ناطقة بمقدار ما بلغت الصناعة المصرية من تقدم وما حققت من إتقان . وشعروا أن المصلحة الخاصة ، قبل المصلحة الوطنية الصحيحة تنادى بهم بتشجيع الصانع المصري والتاجر المصري ، وتشجيع المصنع المصري والصناعة المصرية .

على أن غمط الصناعة المصرية حقها لم يكن مقتصر على أفراد هذه الطبقات الغنية

ففسب ، ولكنه كان يمتد إلى فريق كبير من الطبقات المتوسطة . ولم يكن السبب في انصراف هذا الفريق عن الصناعة المصرية إلا عدم معرفته بوجودها أو عدم اطمئنانه إلى جودتها وإتقانها ، ومن ثم كان ينصرف إلى الصناعة الأجنبية يفضلها على غيرها ويشتري منها حاجاته . وكان يعد شراءه بعض حاجاته من الصناعة المصرية بمثابة تضحية يبررها أحياناً بالرغبة في تشجيع عمل وطني .

جاء معرض سنة ١٩٣٦ فبدد كل هذه الشكوك . وأثبت للجميع بأدلة ناطقة محسوسة أن كل ما الصقوه بالصناعة المصرية والصناع المصريين كان تخيلاً .

ويمكن أن نعد — دون مغالاة — معرض سنة ١٩٣٦ البداية الصحيحة لاستقرار الصناعة في مصر . نعم إن معرض سنة ١٩٢٦ ومعرض سنة ١٩٣١ قد شلّا معروضات كثيرة للصناعة المحلية . ودلائل أن ينظر للأمر بعق حينئذ على أن هذه الصناعة لا بد بالغة مرحلة الاستقرار والتوطد قريباً . ولكن كانت هناك أعين كثيرة تنظر برية . فلما جاء معرض سنة ١٩٣٦ حقق نظر الفريق الأول وقضى على كل ريبة كانت تساور الفريق الآخر .

٣ — وما يقال عن الصناعة في هذا الصدد يمكن أن يقال مثله عن الزراعة ، ولكن من طريق آخر . ولا شك أن شهرة مصر الزراعية شهرة عريقة ترجع إلى آلاف السنين فإن يد الليل الساحرة قد أحالت صحراءها الجرداء منذ امتدت تجمع بين أعلى الوادى والبحر . فقيمة مصر الزراعية لم تكن يوماً من الأيام موضع شك وخصوبة أرضها ظلت مضرب الأمثال منذ العصور القديمة ، ولكن الزمن يتطور وأساليب الزراعة تنتقل هي الأخرى من مرحلة إلى المرحلة . وهي تخرج عن الأساليب القديمة التي كانت قائمة على التجربة والفهم المحليين ، إلى الأساليب العلمية القائمة على دراسة التربة والمناخ وتأثير الخصبات الكيماوية عليها وتنويع الحاصلات طبقاً لحاجات الأسواق . وقد احتوى معرض سنة ١٩٣٦ كثيراً مما يفيد في هذه الوجوه جميعاً . وقد زاره مئات الألوف من الزوار من أقصى أنحاء مصر . وكثيرون ممن زاروه كانوا يحضرون إلى القاهرة لأول مرة ، لذلك شعروا أنهم يلحون جديداً يغير ما درجوا عليه . وإذا كانت الأمية فاشية بين الكثرة الغالبة من الفلاحين ، فإن عيونهم الفاحصة المدققة وقعت على عشرات المعروضات الزراعية وآذانهم المتفتحة استمعت لشرح الموظفين المختصين .

ولا ريب عندى فى أن أثر هذا كان عميقاً فى نفوسهم . حملهم على أن يفكروا ويفكروا ويوازنوا بين ما يحصلون عليه من محاصيل باتباع أساليبهم القديمة وبين ما يمكن أن تنتج الأرض لو اتبع فى فلحها ما يشير به العلم وتوصى أبحاث العلماء .

ولست أزعـم أنهم انطلقوا إلى قراهم يطبقون أساليب العلم على أرضهم ، ولكنى لأشك فى أنهم بدأوا يفتحون آذانهم لكل إرشاد ويقبلون تجربة كل أساليب جديد وهذا فى نظرى بداية التطور الذى نشده ، والذى زرجو أن تبلغ إليه يوماً من الأيام . وحينئذ تصبح الزراعة المصرية متمشية مع الأساليب العلمية قائمة على تجارب الباحثين .

كذلك فتح المعرض اذهانهم إلى أن الزراعة ليست إنتاجاً لمحاصيل زراعة فقط ولكن يمكن أن يتصل بها ، بل لا بد أن يتصل بها طائفة الصناعات الزراعية تساعد على تحسين مستوى الكسب العام للفلاح وتحسين مستوى معيشته .

٤ — ولم يفد المعرض الزراع والصناع فحسب ، ولكنه أفاد الزراعة والصناعة ذاتها فإن تفسيق معروضاته على الصورة التى نسقت لها وإبراز بحالى النهضة المصرية أتاح للمسؤولين من رجال الحكم والاقتصاد والمال ، أن يلمسوا عن قرب وبصورة مجسمة النهضة المصرية فى بعض صورها وأتاح لهم أن يضعوا أيديهم على مكامن النقص والقصور فيها ، ومن ثم يضعوا أيديهم على النواحي التى تحتاج إلى التشجيع والعلاج والدفع إلى الأمام .

٥ — كان للمعرض أثر واضح فى تحسين وسائل الاعلان عن البضائع ، وعن المنتجات الصناعية والزراعية . وفتح أمام التجار باباً واسعاً للدرس والتعليم والتجربة فهموا منه أن التاجر الذى لا يجارى الزمن تبور تجارته ، وأنه لا يطلب من التاجر أن يكون أميناً ومجداً ومخلصاً لعمله فحسب ، ولكن يطلب منه أن يحسن عرض سلعته على الناس . وأن يخلق العملاء والزبائن حتى إذا لم يكونوا موجودين . فلا يكفى أن تكون البضاعة جيدة الصنع معتدلة الثمن ، ولكن يجب أن ينقل إلى الناس هذا الفهم وأن يغريهم بالشراء منه والإقبال عليه . وهذا الفن فى الاعلان يكاد يكون فناً جديداً فى مصر ، فإن جمهرة التجار المصريين لا يكادون يعنون به

كثيراً وهذا على النقيض من التجار الأجانب الذين يرصد كل منهم في ميزانيته مبلغاً ضخماً ، ينفقه في مطالب الاعلان والدعاية لسلعته .

كان المعرض إذن مناسبة حسنة أوحى بهذا الاتجاه إلى كثير من التجار المصريين ، وشاهدوا بالتجربة العملية أثر الاعلان في ترويج البضاعة وتحقيق الربح .

وليس الاعلان فحسب ولكن حسن العرض . وأقصد عرض البضاعة وتنسيقها على صورة تجذب عين الشاري وتستأثر باهتمامه . والتجار المصريون في هذا أيضاً متخلفون عن زملائهم الأجانب . ولكنهم شاهدوا في المعرض كيف كان حظ التاجر الذي أحسن تنسيق بضاعته وأجاد عرضها أو فر من زميله الذي أهمل هذا التنسيق .

٦ — وقد أحلنا السودان ومعرضاته مكانهما بين معروضاتنا ، ونزل تجارهم وزراعه وصناعه في عاصمة وادى النيل مكرمين معززين . وأقبل آلاف الزوار المصريين على معروضات إخوانهم السودانيين يرون فيها جديداً لم يكونوا يعرفونه ، ويرون فيهم إخواناً ربطت بينهم الطبيعة والتاريخ والدين والتقاليد برباط دائم لا تفصم عراه — لقد أدى المعرض من هذه الناحية فائدة جليلة . وكسب من حيث توثيق علاقاتنا الاقتصادية بالسودان ما يعود بالخير علينا جميعاً .

وهنا يطيب لى مرة أخرى أن أنوه بفضل حضرة صاحب السمو الأمير عمر طوسون في تحقيق هذه الرسالة فإن إرشاده السليم وتوجيهه الحكيم وعطفه الواضح على كل جهد في سبيل توثيق العلاقات المصرية السودانية قد أثمر هذه النتائج الطيبة .

مع الناحية الاجتماعية : حقاً إنه لا يمكن فصل الاقتصاد عن الاجتماع ، فإنه حينما تتحقق مصالح اقتصادية لا بد أن تنشأ أيضاً مصالح اجتماعية . وحينما تنشأ عوامل اقتصادية يشابهها أو تقترن بها نتائج اجتماعية . ولا عجب في ذلك فإن الاقتصاد هو تدبير المال وتنظيم حركة الإنتاج والاستهلاك ، والاجتماع هو سلوك الفرد في اتصاله بالجماعة الصغيرة التي يعيش فيها وبالجمتمع الأكبر الذي ينتمى إليه . فالفرد هو قطب الدائرة في الاقتصاد وهذا الفرد ذاته هو قطب الدائرة في الاجتماع فأياً شئ يؤثر اقتصادياً لا بد أن تكون له عواقب اجتماعية والعكس صحيح أيضاً .

وإذا كان من المسلم به أن المعرض كان له أثر حسن في تحسين الإنتاج الأهلى في الزراعة والصناعة ، ومن ثم في زيادة دخل الفرد وتحسين مستوى كسبه ، سواء

كان زارعاً أو صانعاً أو تاجراً ، فإن هذا التحسن في الدخل يؤدي حتماً إلى التحسن في مستوى المعيشة ، ومن ثم في الحياة الاجتماعية التي يحياها الفرد .

وقد كان المعرض فرصة طيبة جلبت إلى القاهرة عشرات الألوف من الفلاحين من أهل القرى وكثيرون منهم — كما قدمنا — كانوا يزورون القاهرة لأول مرة فوجدوا حياة تغيّر حياتهم ، ووجدوا مستوى من النظافة والمعيشة خيراً من مستواهم وفي الفرد رغبة شديدة في أن يتقدم وفي أن يبذل جهده لتحسين حاله وتقليد من هم أرقى منه . وهم لم يجدوا مستوى أفضل من حيث المعيشة فشب ، ولكن من حيث الثقافة والفهم والنظام أيضاً . ولا شك أن هذا كله كان له أثر في نفوسهم واستأزعم هنا أيضاً أن هذا الأثر قد بلغ من الوضوح مبلغاً يمكن أن يلمسه الإنسان ويحسه ، ولكن بما لا شك فيه أن هذا الأثر وجد ، وأنه كان حقيقة من الحقائق التي لا يسع النصف إلا التسليم بها .

كذلك كان للمعرض أثر آخر لعله أدق وأخفى . ولكنه مثل سابقه وجد حتماً ذلك أن تجمع عدد كبير من المصريين من مختلف الأقاليم المصرية أتاح الفرصة لنوع من التعارف والتآلف يزيد من غير شك في مضاء الروح القومية وفي التقريب بين مختلف طبقات الشعب ومختلف سكان البلاد من جميع الأقاليم القريبة والبعيدة .

ونحن حينما ننظر بعين متبينة أن الشعوب الأكثر تآلفاً وقومية هي الشعوب التي تتاح لها الفرص للتعارف والتجمع والتفاهم في أوساط واحدة ومناسبات واحدة . وإذا تقرر هذا فلا بد أن نذكر لمعرض سنة ١٩٣٦ هذه الفائدة . فقد كانت أشبه بالمهرجان القومي منه بأي شيء آخر .

كذلك دلّ المعرض على ظاهرة من ظواهر التطور الاجتماعية في مصر ، أو بتعبير أدق كان امتحاناً لها . وأعني بهذه الظاهرة احترام المرأة . فقد امتد المعرض نحو شهرين وزاره في كل يوم عشرات الألوف من الشباب والفتيات والرجال والنساء . زارته كل طبقات الأمة المصرية فكان سلوك الشباب والفتيات داعياً إلى الارتياح ، ودلوا بتمسكهم بالآداب القومية وحسن سلوكهم في جميع المناسبات على أن المرأة المصرية قد أخذت في تكوين شخصيتها وفي أن تصبح عاملاً هاماً في بناء الجماعة المصرية . وقد اشتركت الفتيات الصريات في أثناء إقامة المعرض في مهرجان عيد

الوطن الاقتصادى ، كما اشترك فريق آخر منهم فى الإشراف على معروضات مدارس البنات ، فكان سلوك هذا الجمع مدعاة للاغتباط .

مع الناحية الثقافية : يصعب مرة أخرى ونحن نتحدث عن آثار معرض سنة ١٩٣٦ ، أن نضع فروقاً واضحة دقيقة لمختلف النواحي التى أثر فيها المعرض فإن الأثر الذى أُنْتُجَحه فى الناحية الاقتصادية مثلاً له مضاعفات تصيب — كما قدمنا — الناحية الاجتماعية . ونقول هنا إن الأثر الاجتماعى قد يصيب الناحية الثقافية فإن هذه الظواهر أو النواحي مترابطة ومتشابكة ترابطاً وتشابكاً يصعب معه فصل أحدهما عن الآخر . فإذا فعلنا ذلك هنا فإنما نفعله من قبيل التنظيم والتنسيق والرغبة فى الإحاطة . أما فى الواقع فإن هذه الآثار جميعاً أصابت الحياة المصرية فى شتى نواحيها . بدا بعضها واضحاً غاية الوضوح وبدا البعض الآخر عميقاً غاية العمق ودقيقاً غاية الدقة ، حتى لا يكاد الإنسان يخطئه ولا يراه مع أنه موجود لا شك فى وجوده . والمعرض فى أصله زراعى وصناعى . ولكنه أتاح لآلاف الزوار فرصة طيبة لتوسيع ثقافتهم العامة والإحاطة بكثير من المسائل والموضوعات ، وجدت أمامهم معروضة أفضل عرض ، فأخذوا ما شاءوا من المعلومات بأيسر ما يمكن بذله من جهد . ولم يكن زائر المعرض يخلو شأنه من أمرين ، فإما أن ما أمامه من المعروضات كان يهمه شخصياً أو يتصل بعمله أو مهمته أو حرفته ، وإما أنه لا يتصل بها . وهو فى الحالة الأولى . يفيد درساً عملياً ويكسب فائدة تساعد على تحسين عمله أو زيادة ربحه من صناعته أو حرفته . وفى الحالة الثانية يزيد ثقافته العامة ويكسب تعريفاً جديداً بأحوال بلاده ومنتجاتها فيفتح ذهنه للتفكير فى حاضرها ومستقبلها ، وربما صححت له هذه المعلومات أخطاء قديمة وأفكاراً كان يعتقها ولها فى نفسه مكان العقيدة والإيمان .

وكان بين زوار المعرض كثيرون من التجار والصناع والزراع فهؤلاء أفادوا من غير شك ثقافة جديدة . وكان بينه آلاف من الطلبة والدرسين والمحامين والأطباء والمهندسين فهؤلاء جمعوا إلى معلوماتهم القديمة معلومات جديدة عن ثروة بلادهم وجهد العامل والزارع والتاجر فى تكوينها . وكل واحد من هؤلاء لم يعدم إلى جانب هذه الفائدة العامة فائدة خاصة يحينها وتفيده فى عمله إن لم يكن فى الوقت

الحاضر في المستقبل . فأى طالب زار المعرض ولم يجد فيه ما يستوقف نظره ومما يتصل بدراسته ومدرسته ، فقد كانت فيه هندسة وطب وزراعة وأشغال وتجارة وصناعة وفنون وآداب . وأى طبيب وأى محام وأى مهندس وأى كاتب أو صحافي أو خطيب جال في المعرض ولو جولة واحدة دون أن يحس لنفسه فائدة ثقافية خاصة ؟ أى واحد من هؤلاء لم يجد ما يستوقف نظره ، وقد جمع المعرض جهود أمة في جيل بأكله ؟

إن فائدة المعرض الثقافية كانت واضحة غاية الوضوح ، وقد أثار الحديث بين الزوار في كثير من الموضوعات ، وجعلهم يفكرون في الكثير مما تنتج بلادهم وفي الكثير مما تصنع ، وجعلهم يتباحثون في حاضرها ومستقبلها ، ووضع أمام أنظارهم بصورة محسوسة فضائل شعبهم القومية وفضائله التاريخية والتقليدية . وضع أمام أعينهم عناصر التقدم والتحضر للنهوض والسير إلى الأمام يدفع إلى صدورهم الإيمان بمستقبل مصر ومجدها .

من الناحية السياسية : وقد يتساءل القارىء وكيف يمكن أن يؤدي معرض زراعى صناعى إلى فوائد وآثار سياسية ، وأعيد هنا ما سبق أن أشرت إليه وهو أن نواحي النهوض في أمة من الأمم تتشابه تشابكاً تاماً ، بحيث يصعب الفصل بينها فصلاً تاماً .

وقد كان معرض سنة ١٩٣٦ حادثاً اقتصادياً ، ولكنه كان مناسبة حسنة ظهرت فيها خصائص النهضة السياسية ظهوراً تاماً . فتد تميز المعرض بالروح القومية . وضع في إعداده وتجهيزه أمره ، وقبول العروض فيه وتنسيقها ، وعرضها . ووضع أيضاً في إدارته وزيارته وكل تصرف اتصل به عن قرب أو عن بعد . جعلنا المعرض مصرياً ، لم نقبل أن تنهون قط في شيء يمكن أن يعد خروجاً أو جحوداً لهذه المصرية العزيزة علينا . فكان الزائر يشعر شعوراً يخالطه الفخر بأنه يسير في منشأة مصرية تعرض جهوداً مصرية ومنتجات مصرية صنعتها أيد مصرية . ومجرد هذا الإحساس يعد كسباً سياسياً كبيراً لنهضة البلاد ، وتغذية للروح القومية بين بنيها ، وشجناً للهمم في سبيل بلوغ غايات جديدة .

كان المعرض يغذى في النفوس شعور الزهو القومى والعزة القومية . ويدفع إلى

المشاهدين بالثقة في مستقبل البلاد والاطمئنان إلى أن فيها مصيناً من الفضائل والمزايا يعد بذاته ثروة لا تقوم بمال .

وكانت البلاد في فترة إقامته مقبلة على تطور سياسي كبير . كان الحديث في تأليف جبهة قومية يشغل الأذهان ، وكان الإحساس عاماً بأن القضية المصرية توشك أن تبلغ غايتها المنشودة . وكان المعرض من ناحية أخرى تأييداً صامتاً للقضية وانحصة الحق . كان وحده بمعروضاته ومجهودات الأمة التي عرضت فيه محامياً بليغاً يقول لمن يريد أن يسمع وأن يعي إن هذه البلاد تستحق مكانها الذي ترجوه ، وإنها تستحق أن تبلغ الاستقلال الذي تنشده .

كذلك لا بد من الإشادة بما أداه المعرض لمصر من دعاية طيبة أعلت مقامها بين الأمم العربية والإسلامية فقد زاره الكثيرون من أبناء تركيا وإيران وفلسطين وسوريا ولبنان والعراق وبلاد المملكة العربية السعودية واليمن وطراباس وتونس والجزائر ومراكش وغيرها ، وكانوا موضع الحفاوة والتكريم من إدارة المعرض ورجاله . وقد شعر هؤلاء الزوار الكرام بمقدار التقدم الذي بلغته مصر في ميادين الصناعة والزراعة والتجارة ، وشاهدوا جهود الأمة التي يحبونها معروضة أحسن عرض ومنسقة أحسن تنسيق فأعلى ذلك من مقام مصر في أعينهم ، وكانت هذه الزيارات فرصة حسنة تبادلنا وإياهم فيها أطيب التحيات لمستقبل الشرق العربي ومستقبل الأم الإسلامية جمعاء . وكان عبارة عن مؤتمر شرقي اجتمع بطبيعة الظروف وتبادل الإحساس والشعور .

والخلاصة أن معرض سنة ١٩٣٦ كان بمثابة عرض صحيح صادق لمصر ، تجارتها وصناعاتها وزراعتها وأمنائها وآمالها وحاضرها ومستقبلها . ولست أجدر وأنا أختم الحديث عن معرض سنة ١٩٣٦ بعد أن فرغنا منه بزمان طويل وبعد أن أتيت لنا الفرصة لكي نستعيد في خاطر آثاره خيراً من أن أعيد هنا عبارة قلتها قبل أن يفتح المعرض أبوابه في محاضرة ألقيتها بجمعية الشباب المسلمين في ٢١ ديسمبر سنة ١٩٣٥ قلت حينئذ « فالمعرض عبارة عن جامعة كبيرة يدخلها الزائر فإذا عني بدراسة محتوياته ، خرج مزوداً بمعلومات كثيرة نافعة ومنشرح الصدر قرير العين بما لم يسبق له رؤيته في بلادنا ، وتلك المعلومات وتلك المراتب كان يستحيل الوقوف

عليها ، ورؤيتها مرتبة بمنظمة في مكان واحد إلا بوجود المعرض ، وإنما لا نبالغ إذا قلنا إن زائر المعرض قد يستفيد من يومه بالمعرض أكثر مما يستفيد في سنة من سواه »

وهذا الكلام الذي قلته قبل افتتاح المعرض قد صح كله بعد انتهائه ، وهذا من فضل الله ونعمته الجديرة بالشكر والحمد .

هيا الله لمصر المستقبل السعيد المجيد ، ورعا نهضتها بعين رعايته ، وحفظ لها ملكها العظيم صاحب الجلالة فاروق الأول .

مدير عام الجمعية الزراعية الملكية ومدير المعرض

فؤاد الأماط